الفطرة عند المسلمين

الدكتور إسماعيل محمد
قرني
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة صلاح الدين

الملخص

خلق الله الإنسان على الفطرة السليمة و الأيمان المسجل في قلوبهم المعترفين بعظمة خالقهم فلا يفصل بين الخالق و المخلوق فاصل ، و لا يحتاج من يناديه إلى واسطة ، من أستمر على هذه الفطرة أوصلة إلى النجاة ، ومن أعرض عنه ونَآ˜ - ضل وغوى ، ووضع أله على طريق الفطرة الأنبياء و المرشدين ليهدون الناس إلى ربهم لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

فجمعت في هذا الموضوع ما تيسر للتعرف على معنى الفطرة وما يولد عليها الإنسان من خلق و دين، وأن ما يطرأ على الإنسان من تبدل و اعتناق عقيدة غير الإسلام بسبب معوقات خارجية و أسباب تمنع الإنسان عن الاستمرار في طريق الأيمان ، وجعلت الموضوع في مباحث : فخصصت الأول للمعنى اللغوي و الاصطلاحي والألفاظ ذات الصلة، وفي المبحث الثاني : عن الفطرة و التطور ، و المبحث الثالث ، جعلته للحديث عن أقوال العلماء في الفطرة ، و ختمت البحث بخاتمة بينت فيها النتائج التي توصل إليها البحث. وهذا جهد بسيط أرجو من الله أن يتقبله مني أنه نعم المولى و نعم النصير .

المقدمة

الحمد لله فاطر السموات و الأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى و ثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء آن الله على كل شئ قدير ، وتبارك الذي خلق الإنسان على الفطرة وأمره بالإسلام ليكون له عقيدة و منهجا وأمره أن يتبع ملة إبراهيم حنيفا ولا يكونوا من المشركين باستقامة حنفاء ، و إخلاص ووفاء ، والصلاة و السلام على النبي المؤيد بالمعجزات المبين لآيات القران الحافظ له بعد الله تعالى عن التحريف و التبديل الحامي للفطرة بالحماس و الوفاء . وعلى اله و أصحابه النجباء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المبحث الأول
الفطرة في اللغة و الاصطلاح :

المطلب الأول : الفطرة في اللغة :

وردت لفظة الفطرة بالكسر و الفتح و الضم ، فهي بالكسر الخلقة أي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به ، قال أبو الهيثم : الفطرة الخلقة التي يخلق الله عليها المولود في بطن أمه ، قال تعالى ((إلا الذي فطرني فانه سيهدين)) ، وبالفتح بمعنى الشق طولا ، يقال فطرته فانفطر ، ومنه قوله تعالى ((إذا السماء انفطرت)) الانفطار:١ ، أي انشقت ، ويأتي بمعنى الابتداء و الاختراع [١]، قال أبن عباس ما كنت أعرف ما فطر السموات و الأرض حتى آتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما أنا فطرتها ، آي أنا ابتدأت حفرها[٢]، وفطر الله الخلق ، إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة ترشحه لفعل من الأفعال[٣] قال تعالى ((والذي فطرنا)) طه

: ٧٢ ، آي الذي أوجدنا أبدعنا ، و قال تعالى ((وما لي لا أعبد الذي فطرني في و أليه ترجعون))يس: ٢٢، وبالضم ، فطره يفطره فطرا أي خلفهُ ، و الفطرة بأساليبها الثلاثة تدور معانيها على الابتداء و الخلق و الإيجاد أولاً مِن غير التأثيرات الخارجية عليه إلا من قبل منشئه ، و منه قوله تعالى ((الحمد لله فاطر السموات و الأرض)) فاطر : ١ ، و من أمعن النظر في خلق الله وصنعه لا يجد تفاوتا أو تنافرا بين أجزائه يقول تعالى ((صنع الله الذي أتقن كل شئ)) النمل : ٨٨ .

وقوله تعالى ((ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)) الملك:٤ ،وفطرة الله : آي الجبلة المتهيئة لقبول الدين ، فهي ما ركز فيه من قوته على معرفة الأيمان .

ومنه قوله تعالى ((ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)) الزخرف : ٨١ ،

المطلب الثاني : الفطرة اصطلاحا

تنوعت تعاريف العلماء حول لفظة الفطرة وكلها تدور حول المعاني اللغوية . فجاءت متحدة في مضمونها مختلفة في ألفاظها و فيما يأتي بعض هذه التعاريف :

١. عرفها الطبري بقوله : (هي الصبغة التي خلق الله الناس عليها ألا وهي الإسلام)[٤] فقد فسر الطبري الفطرة بالدين و الابتداء بالعهد الذي أعطوه مع الله و الاعتراف بألوهيته و أن الإسلام دين الفطرة .
٢. عرفها القرطبي بقوله : (البداءة التي ابتدأهم الله عليها من الحياة و الموت السعادة الشقاء و إلى ما يصدون أليه عند البلوغ)[٥] فهوا الابتداء و الاختراع من الله تعالى للخلقَ أولا .

و يمكن أن نعرف الفطرة من خلال التعاريف ليكون التعريف جامعا مانعا و نقول :

الفطرة : هي أيجاد الله تعالى المخلوق من العدم و تأييدهم بالمعرفة التي توصلهم إلى الانقياد لجلاله بمنهج الإسلام لترشدهم إلى ذلك . من خلال هذا التعريف ، نجمل ما يأتي:

أ- أن فاطر السموات و الأرض و منشئ المخلوقات هو الله .
ب- السلامة من العيوب و التفاوت بين أجزاء الكون.
ج- العهد الذي بين الخالق و المخلوق الانقياد لجلاله و بينه و بين الإنسان الانقياد و الأيمان به على منهج الإسلام.
د- عدم خلق الكفر و الأيمان في الإنسان فإذا تركت لا يختار غير الحنيفية السمحة و الانقياد لله تعالى و أن الكفر يأتي على أيمانه و يستره و يمحيه و يطبع على قلبه و بذلك يخرج المرء من الأيمان مع اعترافه بالوهية الله و خالقيته ، قال تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السموات و الأرض و سخر الشمس و القمر ليقولون الله)) العنكبوت : ١٦ .
ه- جريان حكمه وأمره على المخلوق و محاسبتهم على هذا العهد الذي أخذه منهم واعترافهم و قبولهم للعهد الذي قبلوه من الله .

المطلب الثالث : معاني لفطرة من القرآن الكريم

جاء لفظ الفطرة في القران الكريم بمعان متعددة و أساليب متنوعة ، فجاء بمعنى الخلق و الإبداع ست مرات قال تعالى ((آني وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض حنيفا وما أنا من المشركين)) : الأنعام ، ٧٦ .

فطر السموات : أوجدها و خلقها .

وقال تعالى ((قال بل ربكم رب السموات و الأرض الذي فطرهن)) الأنبياء : ٥٦ .

يخاطب النبي إبراهيم قومه بان الذي ملك السموات و الأرض و خالقهما هو خالقكم و ربكم ، و الإنسان يعلم بان خلق السموات و الأرض ليس من ضع المخلوقات و لا من الطبيعة الصماء أو خلقتا من تلقاء أنسفهما بهذا النظام الدقيق .
ثم ينتقل الكلام إلى أن الإنسان خلق ابتداء من التراب و منشئةُ و خالقه هو الله تعالى . قال تعالى ((فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة)) بين الله تعالى للبشر أن أحياء الأموات يوم القيامة تأتي على يد من أنشأها و فطرها أول مرة ، قال تعالى ((وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)) ، و إنشاء الإنسان من التراب مباشرة آمر مسلم لدى العلماء في وحدة عناصر البشر مع التراب و تغذيه مما أخرج الله له لمن الرزق ، و تلاش أجزائه بين التراب و فنائها ألا عجب الذنب مما يحيا عليه الأحياء يوم القيامة .
وأكدا الله تعالى أحياء المخلوقات بقوله ((وضرب لنا مثلا و نسى خلقه قال من يحي العظام و هي رميم قل يحيبها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليهم)) يس : ٧٩ ، فقد ظهر للبشر كل هذه الحقائق من إنزال الماء من السماء واحياء الأرض بعد موتها ، و كذلك تخرجون ، قال تعالى ((و الله الذي أرسل الرياح فتشير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)) فاطر:٩.
أذعن الإنسان بأن الكون مخلوق و له خالق أوجده يعلمه الخالق بان الله هو فاطر السموات و الأرض و مبدع الوجود فقال تعالى ((الحمد لله فاطر السموات و الأرض)) فاطر : ١ ، وورد فاطر السموات و الأرض في سورة يوسف ١٠١ ((فاطر السموات و الأرض)) و في سورة الزمر ٤٦ ((قل اللهم فاطر السموات و الأرض عالم الغيب و الشهادة)) ، وفي سورة الشورى الآية ١١ ((فاطر السموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا)) و يتحول الشك إلى اليقين لدى الشاكين إذا أرادوا الوصول إلى الحق الذي لامرية فيه ، عندما يقف الإنسان عند قوله تعالى ((قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات و الأرض)) : إبراهيم ١٠ ، وهو الله الواحد الذي تفرد **بالألوهية وعدم جواز قبول غيره** وليا قال تعالى ((قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات و الأرض)) الأنعام ١٤ .
هذا الاستفهام إنكاري أي لا اتخذ غير الله وليا لانه هو الولي و غيره لا يوصف بالولي الكامل فانه تعالى يقول ((والله هو الولي)) ، وقد ورد الفطر في القران الكريم بمعنى التشقق في خمسة مواضع يقول تعالى ((إذا السماء انفطرت)) الانفطار :١، و قال((السماء و منفطر به)) المزمل : ١٨ ، هذا بيان فناء السماء قبل يوم القيامة و أنها تشقق ((يوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملائكة تنزيلا)) الفرقان:٢٥ ويلفت الله تعالى أنظار العباد ألي بدائع صنعه و تناسق أجزائه متحديا أفكارهم بقوله : ((الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)) الملك : ٣ – ٤ ، فالكون البديع المنسق بهذا النظام الجميل يشهد بوحدانية الله تعالى و يسبح بحمده و يعلن عبوديته و مخلوقيته لله تعالى و إذا سمع الشرك من بعض الإنسان تكاد تتفطر منه و تنشق الأرض منه و تخر الجبال هدا ، فقال تعالى ((تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا))مريم:٩٠–٩١، وفي سورة الشورى ٥٠ ((تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ...))
فالفطرة جاءت بمعنى الإسلام و الصفاء الذي يولد عليه المولود و الأصل الذي يخرج عليه الفرع على شاكلة أبيهم أدم و أمهم حواء .
من غير الحاد أو كفر يقول تعالى((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله))الروم: ٣٠.
شبهة ورد وقد أورد بعض منكري الفطرة أن الإنسان تطور من القرد عبر آلاف السنين ، أو جاء نتيجة الانتخاب الطبيعي . وسنورد مناقشة هذا القول بما يأتي :-

أن نظرية التطور تحسب أنها استطاعت تفسير نشوء الكائنات الحية وتكاملها و تطورها وكل شئ بـ((الانتخاب الطبيعي)) و ((الطفرة)) و لكن الحياة هي أشمل واعقد من مجرد أجساد الكائنات الحية، فعلاوة على وجود الأجهزة العضوية في أجساد الكائنات ، هناك علاقات متداخلة ومتشعبة و معقدة و حساسة بين هذه الكائنات الأخرى من جهة ، و بينها و بين بيئتها ، وهذا موضوع هام لا يمكن لآية نظرية تدعى تفسير الحياة ، أن تهمل إيضاحها ، و تفسيرها . غير إننا نرى أن الظلمات تحيط بهذا الموضوع في نظرية التطور ، ولا نرى أي بصيص من نور .

فمثلا لا تستطيع نظرية التطور تفسير أو إيضاح المهارة الزراعية المدهشة ، التي تملكها ((النمل قاطعة الأوراق)) ، فأن حاولت نظرية الادعاء بان النمل ، أنما اكتسبت هذه المهارة بعد ملايين السنين، و نتيجة طفرات عديدة ، وعمليات الانتخاب الطبيعي ، نسألها أن توضح لنا كيف تسنى لهذه الحشرة أذن العيش طيلة هذه السنوات الطويلة ، ومن الذي أنقذها من الموت جوعا؟

كما لا تستطيع هذه النظرية تفسير كيف تستطيع النحلة التجول بين الأزهار ، وامتصاص رحيقها لعمل غذاء من أنقى الأغذية ، و ليس هناك من معلم أو مدرب لها؟ وكيف تستطيع بإشاراتها ورقصتها الخاصة من التخاطب مع أفراد مجموعتها ، ثم القيام بإنشاء خلاياها بدقة هندسية متناهية ، لا نشاهد فيها خطأ مليمتر واحد .

أم هل تستطيع هذه النظرية تفسير كيف أن الطفل ، وهو جنين في بطن أمه يتدرب لاكتساب المهارة الوحيدة المطلوبة منه ، وهي عملية مص الثدي ، وذلك بمص إصبعه !!

كيف تبني العناكب بيوتها ، و الطيور أوكارها ، و النمل مساكنها ؟ ومن أين للقندس هذه المهارة المعمارية التي تذهل العقول ؟ ... أسئلة لا تستطيع هذه النظرية الإجابة عنها .

ولا تستطيع هذه النظرية تفسير كيف تستطيع صغار البط البري في موسم الخريف ، التجمع في مكان واحد ، ثم الهجرة إلى الجهة الصحيحة ، دون مرشد أو معلم (نظرية التطور لا تستطيع تفسير أية ظاهرة من ظواهر الهجرة المنتشرة بين الطيور و الأسماك) [٦].

أن الشخص الذي يؤمن بنظرية التطور ، عليه أن يعطل جميع حواسه – وفي مقدمته حاسة البصر– أمام مشاهد الجمال و الرحمة حوالينا ، وأن يهمل مشاعره وأحاسيسه وملكاته المختلفة الأخرى .

ولأنكى من ذلك ، فان الإنسان المبتلى بعمي ألوان نظرية التطور ، يكون غافلا عن تجليات الرحمن الرحيم ، الذي سخر للإنسان الأغنام و الأبقار ، وجعلها له مخزنا للحليب ، و الدواجن و النحل التي تهيئ له أفضل الأغذية ، وسخر الأشجار لتقدم له ألذ الفواكه ، و الذي جعل الأرض له مهادا و مسكنا ، وزينها له بآلاف الأنواع من الأزهار ، ووهب له كل ما يحتاجه ، وصولا إلى البترول الذي خزنه له في سرداب هذا المسكن من قبل ملايين السنين . و الذي جعل له القمر نورا و الشمس سراجا وهاجا وزين له السماء بمصابيح متلألئة.[٧]

فإذا كان تكون أبسط البر وتينات من نفسها خارج حدود الاحتمال بهذه الدرجة كما يعترفون ، أذن فلم هذه المحاولات اليائسة لتفسير ليس كما أن توافق الأشياء من جنس واحد ، وتجانس الأفراد في النوع الواحد في أساسات الأعضاء يدل بالضرورة على أن خالقها واحد أحد . كذلك أن تمايزها في الشخصيات التي تدل على الحكمة و المشتملة على علامات فارقة منتظمة تدل على أن ذلك الخالق الواحد الأحد هو فاعل مختار مريد ((يفعل الله ما يشاء و يحكم ما يريد)) جل جلاله.

فان مجرد تكون بروتين بسيط واحد ولا ألف بروتين ، بل التراكيب المعقدة جدا لأجساد ملايين الأحياء الموجودة في أرضنا والتي تشكل كل واحدة منها عالما قائما بذاته دليل عظمة الله تعالى.

أن من الصعب إعطاء مبرر أو تفسير معقول لمثل هذه المحاولات .

أن التطوريين يتناسون هذه النقطة ، أو يحاولون إخفاءها بكل عناية ، ذلك لان الصدفة، إضافة لفقدانها للشعور ، فأنها لا تملك أي نموذج أو ((موديل)) أمامها. فلنحاول أن نتخيل الكرة الأرضية قبل بدء الحياة ، أن الإنسان يعتبر أرقي وأذكي المخلوقات في الكون ، فان كل ما استطاع صنعه هو في الأساس تقليد للطبيعة . أن الرادار الموجود في أجساد بعض الحيوانات غير العاقلة منذ ملايين السنين ، أفضل من أحسن رادار صنعه الإنسان حتى ألان . و أن طائرة الفانتوم تعد بالنسبة لأي عصفور آلة بدائية جدا . أما كرتنا الأرضية التي نعيش عليها فأنها تقوم منذ خمسة مليارات من السنين بسياحتها الكونية المذهلة التي لا تعد بجانبها سياحات صواريخنا شيئا .[٨]

أن كائنا ذكيا كالإنسان يعجز عن عمل أي شئ ألا إذا كان هناك نموذج أمام عينيه ، فكيف يتسنى أذن لما نطلق عليه اسم ((الصدفة)) ، المحرومة من الحياة بل من أي كيان ، أن تنشئ وتخترع مفهوما للحياة ، وأن تصمم الخطط لتطبيق هذا المفهوم وتحققها فعلا على المادة ؟

أن الإنسان لكي يستطيع الزعم بأن الصدفة الخالية من الشعور هي التي أوجدت مفهوم الحياة من العدم (في الوقت الذي يعجز الذكاء الإنساني و العبقرية الإنسانية تحقيق ذلك)[٩] لا بد أن يكون محروما من التفكير و الشعور ! . ثم أن الأمر لا يقتصر على إيجاد مفهوم الحياة فقط ، ذلك لانه يستوجب من ثم ترتيب تنظيم المادة الصماء الخالية من الحياة بحيث تكون مهيأة لاستقبال الحياة ، مما يعني أن على الصدفة العمياء أن تعمل دون أن يكون أمامها أي نموذج ، ولا ينتهي الأمر هنا أيضا فبدء من الزهرة إلى الذبابة ، ومن السمكة إلى الإنسان تظهر الحاجة إلى نماذج خاصة لأجساد وبنى ملايين الأحياء ، وكل نموذج من هذه النماذج يجب أن يملك ما يناسبه من عيون وأذان وأنوف وخياشيم وأفواه واذرع وأجنحة ، وأيد وأرجل وريش و شعر أعضاء داخلية و خارجية . ولا ينتهي الآمر هنا أيضا ، ذلك لان الخفاش يحتاج الرادار و الدولفين إلى جهاز(الصونار) ، والأسماك التي تعيش في أعماق المحيطات إلى الكهرباء ، و البلابل إلى التغريد العذب ، والأزهار إلى الشكل الجميل و الإنسان (عدا التطوريين !) إلى عقل مفكر ، و الطفل إلى حنان ألام . فمن الذي يكتشف هذه الحاجات قبل أوانها لكي يؤمنها و يوجدها ؟

أهي الصدفة ، أم الطبيعة ، أم المادة الصماء الخالية من الحياة ؟

لقد رأينا كيف أن الصدفة عاجزة عن إنشاء بروتين واحد ، أما الطبيعة فلا تملك وضعا أفضل من الصدفة ، لأنها ليست سوى القوانين السارية في الكون . و التي هي من وضع حكيم مطلق الحكمة ، وعالم لاحد لعلمه.

وبينما لا نجد أحدا يدعي أن قانون العقوبات ظهرت في المجتمع من نفسها ، وأنها هي التي تقبض على المجرمين و تحاسبهم ، نجد من يدعي ، وباسم العلم ، أن قوانين الطبيعة ظهرت للوجود من نفسها ، وإنها أوجدت هذه الدنيا الحافلة بالحياة من نفسها !! أليس هذا شيئا غريبا كل الغرابة ؟

لقد كان المشركون في عهد إبراهيم عليه السلام على درجة من العقل ، بحيث أنهم رفضوا واستبعدوا أن يكون الصنم الكبير ، الذي علق عليه إبراهيم (عليه سلام) المطرقة ، هو الذي قام بتكسير الأصنام الصغيرة .

أما التطوريون المعاصرون ، فلديهم الجرأة لكي يعتقدوا ويدعوا أن المادة التي تملا الكون تملك من العلم و القدرة ، ما تكفي لخلق الحياة ودفعها في مسالك التطور ، وهم فرحون بهذا الاعتقاد ، ويرمون كل من لا يؤمن بهذه الخرافة بتهمة الرجعية و التعصب و البعد عن المعاصرة.

[أن الصدفة لا تستطيع بأي حال من الأحوال تفسير هذه الاختلافات الكثيرة الموجودة بين أنواع الصنف الواحد، و الاختلافات بين مجموعات النوع الواحد .]

[والدليل الآخر الذي نطرحه حول إثبات وجود الله، هو استحالة وجود مثل هذا الكون البديع غير المحدود، و الذي يضم بين موجوداته الإنسان الذي يملك قابلية النظر إلى الماضية السحيق والى مستقبلة البعيد ... استحالة وجوده نتيجة الضرورة و الصدفة العمياء. و عندما كنت أفكر بهذه الصيغة ، كنت اضطر إلى البحث عن ((العلة الأولى)) التي تملك ذكاء على نمط الذكاء الإنساني ، و على ما أذكر ، فان هذا الاتجاه كان قويا لدي عندما كتبت ((أصل الأنواع)) ، و لكنه بدأ يضعف عندي تدريجيا ، و تعرض لبعض الهزات .

وحتى ألان لا أتمالك من الشك : هل يمكن الوثوق بهذه النتيجة التي توصل أليها الذكاء الإنساني الذي أؤمن بكل كياني انه متطور من ذكاء أدنى الحيوانات في سلم التطور].[١٠]

المطلب الرابع : الألفاظ ذات الصلة

وردت ألفاظ كثيرة ذات علاقة بمعاني الفطرة . من حيث الدلالة على ابتداء الخلق أو الانفطار او الدين الذي خلق الله الخلق عليه وهو الإسلام دين الأنبياء ، ففي معنى ابتداء الخلق وردت ألفاظ متعلقة بمعنى الفطرة وفيما يأتي نذكر هذه الألفاظ :-

١. الخلق – يقول تعالى ((الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض)) الأنعام : ١ .
وفي تقلبات الخلق ((يخلقكم من بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث)) الزمر ٦: وآيات أخرى كثيرة .
٢. الجعل : يقول تعالى ((جعل الليل و النهار خلفة لمن ارادان يذكر أو اراد شكوراً))الفرقان:٦٢ .
ويقول ((وجعل الظلمات و النور)) الأنعام : ١ .
٣. الإنشاء : يقول تعالى ((قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)) يس:٧٩ .
ويقول ((أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)) هود : ٦١ . ويقول ((كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين)) الأنعام : ١٣٣ .
٤. البديع : يقول تعالى ((بديع السموات و الأرض...)) البقرة : ١١٧ .
٥. القضاء : يقول تعالى ((فقضاهن سبع سموات في يومين)) فصلت : ١١ .
٦. البدء : يقول تعالى ((يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده)) الأنبياء : ١٠٤ .

وفي الانفطار وردت ألفاظ أخر نذكرها كالأتي :

١. التشقق : يقول تعالى ((يوم تشقق السماء بالغمام)) الفرقان : ٢٥ .
ويقول ((إذا السماء انشقت)) ألانشاق : ١ .
٢. المهل والعهن : يقول تعالى ((يوم تكون السماء كالمهل و تكون الجبال كالعهن)) المعارج : ٨ - ٩ .
و يقول ((و تكون الجبال كالعهن المنفوش)) القارعة : ٨ .

وفي معنى الدين وردت ألفاظ كثيرة نذكر منها :

الدين قيم يقول تعالى : ((قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) الأنعام : ١٦١ .

ويقول تعالى ((أن عدة الشهور عند الله أننا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)) التوبة : ٣٦ .

فقد ربط الله حقيقة الدين الإسلامي بحقيقة عدة الشهور الثابتة لحساب الفصول الأربعة و الأشهر الحرم ، فتظهر الحقيقتان عندما نسمع شهادة كل إنسان على وجود الفطرة السليمة و

الأيمان بالله في ذاكرته ولاعتراف به عند النوائب ، كما يعرف حقيقة الأشهر الاثناعشر في كل السنة .

الحنيفية : وقد ربط الله في بعض الآيات الدين القيم بالحنيفية والإسلام قال تعالى ((وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين)) يونس : ١٠٥ . وقال تعالى ((ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)) آل عمران:٦٧.

وفي الموضوع نفسه آيات أخرى في سورة البقرة : ١٣٥ ، و أل عمران : ٩٥ ، و النساء : ١٢٥ ، و الأنعام : ٧٩ ، و يوسف : ٤٠ ، و النحل : ١٢٠ – ١٢٣ ، و الكهف: ٢،و الحج : ٣١ ، تدل هذه الآيات على أن الدين القيم و الحنيفية و الإسلام نفس الفطرة التي فطر الله الناس عليها من الاعتراف بالله و الخضوع لجلاله وعدم الخروج إلى غيره إذا لم يعارضه أحد و يفسد عليه فطرته ، كما البهيمة تولد سليمة من غير عيب ثم يجدعونها و كذلك يولد المولود سليم الفطرة و العقيدة ، ثم يغيرونها و يفسدونها ، وشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الأنف[١١] ، و معلوم أن كما لها محمود و نقصها مذموم ، فكيف تكون قبل النقص لا مذمومة ولا محمودة .

ولزيادة توضيح الأمر نقرا هذا الآيات و نفسر بعض منها:-

قال تعالى:

١- ((وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) البقرة :١٣٥ .

٢- ((ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)) آل عمران:٦٨ .

٣. ((قل صدق الله فأتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين))آل عمران:٩٥ .
٤. ((ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا)) النساء : ١٢٥ .
٥. ((أنى وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفا وما أنا من المشركين)) الأنعام: ٧٩ .
٦. ((قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) الأنعام : ١٦١ .
٧. ((... ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)) التوبة : ٣٦.
٨. ((وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين)) يونس : ١٠٥.
٩. ((... أن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون)) يوسف : ٤٠.
١٠. ((أن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)) النحل: ١٢٠.
١١. ((ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين))النحل : ١٢٣.
١٢. ((الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما)) الكهف:١– ٢ .
١٣. ((فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور. حنفاء لله غير مشركين به)) الحج : ٣٠ – ٣١ .
١٤. ((فأتم وجهك للدين القيم)) الروم : ٤٣ .

١٥. ((وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة)) البينة : ٥ .

فهذه الآيات قريبة في ألفاضها مما ورد في أية الفطرة مثل وجهك ... الدين ... حنيفا ... ثم وصف ذلك بالدين القيم . وكما ورد من قبل فان هذه الألفاظ تحمل أكثر من معني ، فالوجه يأتي بمعنى الوجهة و يأتي بمعنى الجارحة .

فعلي المعني الأول هو تمثيل لوجوب الإقبال على الدين و الاستقامة و الثبات عليه و إخلاص الوجهة إليه و حيثما وجد هذا اللفظ وجد هذا المعنى وهو من متعلقات أصول الدين.

أما المعنى الثاني فهو ما تضمنته الآية الخامسة وهي قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : (أني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفا وما أنا من المشركين) فالتعبير بالوجه جاء على الأصل أي الجارحة ... ووجهت مشتق من الجهة و الوجهة ، وهذا يعني إن المأمور به – مع ما تفيده الآية من المعنى السابق – بعض أعمال الجوارح ، واختير تعدى الفعل وجه – باللام لان في هذا التوجه إرضاء و طاعة.[١٢]

وكذلك لفظ الدين عندما يأتي من فعل متعد بنفسه أو من فعل متعد باللام فمعناه في كلا الاشتقاقين طاعة الأحكام الشرعية ... والاستقامة و الإخلاص فيها إرضاء لمشرعها وهو الله تعالى ، وهذا المعنى موجود حيثما وجد لفظ الدين من الآيات المذكورة سلفا ، لان هذا المعنى لا يختلف باختلاف الأمم وهو من الأصول التي اشتركت فيه الأديان الإلهية ، لكن لفظ الدين يأتي بزيادة معنى أخر ، كما في الآية السادسة : ((دينا قيما ملة إبراهيم)) ، (وملة إبراهيم) منصوبة على البدلية[١٣] من (دينا قيما) أو منصوبة على المصدرية[١٤] ، عبرت عن الطريقة و المذهب ، وان المراد بالدين بعض أعمال الجوارح في هذا المذهب كالحج و الختان زيادة على المعنيين المذكورين أنفا .

والملة – بالكسر – الشريعة و الدين ، وهي أسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ليتوصلوا به إلى رضا الله تعالى ، ولا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه . وهذا المعنى هو فرقها عن غيرها من الدين و الشريعة ، فلا تكاد توجد مضافة إلى الله فلا يقال ملة الله يقال ملتي أو ملة فلان..[١٥] وانما يقال ملة إبراهيم، ملة موسى عليهم السلام وهكذا، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: [و اتبعت ملة آبائي إبراهيم و إسحاق و يعقوب] (سورة يوسف: ٣٧)، و هنا جاءت منسوبة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام موصوفة بالميل (حنيفا). فان الناس كانوا في ضلالة عمياء يوم ظهور ملة إبراهيم فمال عن طريقهم المعتاد (طريق الشرك)فلقب بالحنيف، فصار الحنيف لقب مدح بالغلبة والملة هنا هي الإسلام بدليل قوله تعالى: "ما كان إبراهيم يهوديا أو نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" (آل عمران: ٦٧) فقد مال عن سائر الأديان الباطلة إلى دين الحق..[١٦]

ولفظ الحنف يأتي بمعنى الميل من الضلال إلى الاستقامة وتشبيهه بالحنف (وهو دليل في الرجل) يعني إن هذا الميل إلى الحق يكون خلقة، وبالتالي يمكن إن نفسر الأمر بأتباع ملة إبراهيم حنيفا بأن أتباعه في المذهب والميل الاختياري الطوعي إلى أتباعه بالتبرؤ من الأوثان والتيه بالإسلام ذلك كله خلقة، تشبيها بالأحنف الذي لا يستطيع أن يرد حنفه[١٧]. والمعنى أن إبراهيم حنيف مائل إلى دين الله دين الإسلام فلم يبعث نبي إلا به وان اختلفت شرائعهم.[١٨]

أما قوله تعالى:" ذلك الدين القيم" ، فهو إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له او لزوم الفطرة..[١٩]

وقد تحدثت عن ذلك آلاية الخامسة عشرة محددة المعنى، " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء.. آلاية" ، فقد عدت توحيد الله وهو الأصل الجامع لكل الديانات واقامة الصلاة وإيتاء الزكاه وهي المعبر عنها بالشريعة عدت ذلك(دين القيمة).

يقول الزجاج : (أي دين الملة المستقيمة)[٢٠]. ويقول العكبري: (أي الملة أو الأمة القيمة) ودخلت الهاء اللمدح والمبالغة (مخلصين) حال من الضمير في (يعبدوا) و(حنفاء) حال أخرى أو حال من الضمير في (مخلصين) ويجوز إن تكون من فاعل (يعبدوا) المعنى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.[٢١]

وهذا المعنى هو ما جاء مفصلا في معنى إقامة الوجه اللدين في آية الفطرة" فاقم وجهك الدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين أليه وأتقوه وأقيموا الصلاة وإلا تكونوا من المشركين.." (الروم: ٣٠: ٣١).

(منيبين) حال من ضمير (فأقم) للإشارة إلى أن الخطاب يشمل الجميع، فان مخاطبة النبي (صلى الله عليه وسلم) مردا منه نفسه والمؤمنون معه دل على ذلك قوله تعالى: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء..)[٢٢]. (الطلاق: ١) فقوام الدين القيم هو اتباع الفطرة والتقوى مع الإسلام واداء الفرائض.

ويزداد الأمر وضوحا في الآيتين الكريمتين:-

الأولى: يقول الله تعالى ذكرة: " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي او حينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتنفرقوا فيه.. " (الشورى: ١٣).

الثانية: " فاحكم بينهم بما أنزل الله واتتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا.." (المائدة: ٤٨).

والشريعة: مشرعة الماء وهو مورد الشاربة وسميت الديانة شريعة على التشبيه لان فيها شفاء النفوس وطهارتها.

والشرعة: الشريعة ويقال: هذه شرعة هذه أي مثلها.

الشريعة: ما شرع الله لعباده من الدين، و قد شرع لهم يشرع شرعاً أي سن و بين، و الشرع مصدر ثم جعل اسما للطريق النهج فقيل له شرع و شرع و شريعة المنهج و استعير ذلك للطريقة الإلهية[٢٣] قال: [... شرعة و منهاجاً].

و النهج و المنهج و المنهاج بمعنى الطريق الواضح، و انهج الطريق استبان و صار منهجا واضحاً بينا.[٢٤]

و معنى الآية الأولى شرعنا لكم ما شرعنا للأنبياء دينا واحداً في الأصول التي لم يختلف فيها الرسل، ثم فسر المشروع بقوله تعالى: [أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه] و المراد إقامة دين الإسلام بدلالة [و الذي أوحينا إليك] فيجب إقامة سائر ما يكون الشخص بإقامته مسلما، و لم يرد الشرائع الأخرى فأنها مختلفة متفاوتة[٢٥] و هذا ما توضحه الآية الثانية [... لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا...] فقوله [فاحكم بينهم بما انزل الله] أي بالقرآن أو بما في التوراة و الإنجيل ما لم ينسخه الله بحكم جديد. و المقصود من نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يتبع أهواءهم هو إعلان ذلك ليعلمه الناس و يتقرر لديهم كما في قوله تعالى: [لان أشركت ليحبطن عملك] (الزمر: ٦٥) و لذلك جاء تعليل النهي [لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا] أي أن كانت أهواؤهم في متابعة شريعتهم فدعهم و ما اعتادوه و تمسكوا انتم بشرعكم .[٢٦]

و بذلك يتضح معنى الفطرة في وجهين:-

الأول: إن الوحدانية مترسخة فيها لا تغيير لها، و هو ما عليه كل معتقدات الأديان، و لتأصلها ذكرها القرآن دليلا لاثبات التوحيد، و حتى لو غفلت فأنها تظهر عند الشدائد و المصائب.[٢٧] [و

إذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً أليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو أليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار]: الزمر ٨ .

والثاني : أنها متهيئة لقبول شريعة الإسلام فهناك رابط بين فطرة النفس البشرية و طبيعة الشريعة الإسلامية وكلاهما من صنع الله فطبيعة النفس من حيث الخلق ملائمة لما عليه الشريعة الإسلامية.[٢٨]

وبناء على ذلك أن الفطرة بالمعنى الأول موجودة بالفعل و بالمعنى الثاني موجودة بالقوة مع ملاحظة عدم اعتبار الأيمان و الإسلام الفطريين بل لا بد من الأيمان و الإسلام الشرعيين.[٢٩]

لذا نستنتج مما سبق أن الفطرة هي حالة التوحيد و عدم الشرك التي خلق الله الإنسان عليها ابتداء و المتهيئة لقبول ما يطلبه الشرع في توجيه غرائز الإنسان و مشاعره و خصائصه الجسدية و النفسية . وان مما يجسد هذا الفهم :

١. ما جاء في قوله تعالى ((وإذا أخذ ربك من بني أدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلا شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا الغافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)) الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣ .

فهذه الآية تتحدث عن ميثاق الفطرة المعقود بين الخالق جل و علا و بين الناس تعرضه في صورة مشهد – مشهد الذرية المكونة في عالم الغيب المستكنة في ظهور بني أدم ..... يقررها الخالق المربى فيسأل (ألست بربكم ؟) فتعترف له سبحانه بالربوبية (قالوا بلا شهدنا) فهو عهد الفطرة الذي أخذ الله على ذرية بني أدم فقد أنشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده سالمين من الاعتقادات الباطلة و لا سبيل إلى الاحتجاج في أن يقول أحد غفلت أو قلدت [٣٠]. فالفطرة بهذا المعنى مركوزة و موجودة بالفعل .

٢. ما جاء من صور التبيين في الحديث الذي يروية البخاري ولمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعا.[٣١]

ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه و اقرأوا أن شئتم: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)[٣٢]. [الروم: ٣٠] وقد ورد في مسلم بلفظ (ما من مولود يولد إلا وهو على الله) وفي آخر (إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه).[٣٣]

ومن: زائدة، و مولود: مبتدأ ويولد: خبره وتقديره: ما من مولود على أمر من الأمور إلا على هذا الأمر وهو الفطرة[٣٤]. والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي ما خلقه الله عليه جسدا وعقلا فمشي الإنسان على رجلين فطرة جسدية (... ومنهم من يمشي على رجلين ...) [النور:٤٥] وتناوله الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية واستنساخ المسببات من أسبابها فطرة عقلية ومن غير أسبابها خلاف الفطرة العقلية.[٣٥] والمراد بالفطرة هو نفس ما أريد في الآية والمذهب الصحيح في ذلك هو الإسلام قاله الإمام العسقلاني.[٣٦]

وعبر الإمام العيني عنها بالدين لانه اعتورها البيان من أول الآية وهو [فأقم وجهك للدين] وفي أخرها [ذلك الدين القيم].[٣٧] و (أن الدين عند الله الإسلام) [آل عمران: ١٩] ومعنى الدين تمكن الناس في الهدى في أصل الجبلة والتهيء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لان حسن هذا الدين موجود في النفوس، وانما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد كقوله تعالى: [... أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى...] (البقرة: ١٦) والفاء في قوله (فأبواه) أما للتعقيب أو للسببية أو جزاء شرط مقدر، أي إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه أو بتعليمها إياه وترغيبهما فيه، وخص الأبوان للغالب وإلا فان المؤثرات كثيرة ومتنوعة. وأما قوله (صلى الله عليه وسلم): (كما تنتج البهيمة بهيمة) فهو بضم التاء الأولى وفتح الثانية ورفع البهيمة ونصب بهيمة (وجمعاء) بالمد هي البهيمة التي لم يذهب من

بدنها شيء ، سميت بها لا جماع سلامة أعضائها لا جدع فيها ولا كي ، و يدرك ذلك بالحس أي حاسة البصر ، و الحديث عام في جميع المولودين كما دلت عليه رواية مسلم (حتى يعبر عنه لسانه) و معنى ذلك أن أتباع اليهودية و النصرانية و المجوسية مخالفون للفطرة في تفاريعهم [٣٨].

المبحث الثاني
فطرة الله وقابليتها

المطلب الأول :- فطرة الله التي فطر الناس عليها

ذهب المفسرون إلى أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي الإسلام الذي ارتضاء لعباده و أرسل به الأنبياء و وانزل فيه الكتب و يحاسب عليه العباد ، و يجازي به أهل الرشاد ، من تمسك به نجا ، و من حاد عنه فقد ضل و غوى، قال تعالى((إن الدين عند الله الإسلام)) آل عمران:١٩. وقال ((ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل)) الحج :٧٨ وقال ((ومن يتبغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) آل عمران:٨٥. فهذا الإسلام الذي ابتدأه الله لعباده بالنبي أقاول أدم عليه سلام ، ومكملا بأخر الأنبياء محمد عليه صلاة و السلام ، فقال تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) المائدة :٤ . فهو الأصل و المنهج و الشريعة التي تلائم طبيعة الإنسان و حياته في الدنيا و الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) صحيح مسلم .

ويقول أبن تيمية ((ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس ، وكل ذي العين لوترك بغير حجاب لرأى الشمس ، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود و تنصر و تمجس مثل حجاب يحول بين البصر و رؤية الشمس كذلك كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرا ، ولا يلزم من كونهم مولدين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل ، فان الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا .

لكن سلامة القلب و قبوله للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان الإمسلما ، وهذه القوة العلمية التي تقتضي بذاتها الإسلام مالم يمعنها مانع ، هي فطرة الله التي فطر الناس عليها))[٣٩]، وقال أيضا ((أنه سبحانه فطر القلوب على أن ليس في محبوباتها و مراداتها ما تطمئن أليه وتنتهي أليه إلا الله و إلا فكل ما احبه المحب يجد من نفسه إن قلبه يطلب سواه و يجب أمرا غيره يتألهه و يصمد أليه)) [٤٠]و لهذا قال تعالى ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) الرعد :٢٨.

وقد أرشدنا سبحانه بآيات الفطرة إلى وحدة خلق الإنسان بعيدا عن الأنواع الأخرى من الحيوانات إذ خلقه من التراب مباشرة قال تعالى ((يا أيها الناس أن كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ...)) الحج : ٥ ، وآيات أخرى كثيرة ثم قسم الحياة بين الجل و المرأة فاختص كل واحد منهما بعمل ليسهل عليهما الحياة و ليكون كل واحد منهما لباسا للثاني و معينا و اختصت المرأة بتربية الأطفال و الإنجاب و أعداد السكن المناسب للرجل ليسكن أليها، و أختص الرجل بالكسب و الكد و السعي وراء رزق حلال يجلبه لاهله ، و لهذا فلا يستطيع الرجل أن يؤدي كل أدوار المرأة ، ولا المرأة تستطيع أن تؤدي كل أدوار الرجل بل يكمل بعضهما بعضا ، فالفطرة بادية في تصرفات الإنسان منذ الصغر فنجد الولد يمارس ويسعى وراء ما فطر عليها ، وكذلك البنت الصغيرة تقلدامها و تسعى لنتعلم تربية الطفل ، و يجب كل واحد منهما الملاعب الخاصة به ، يقول تعالى ((لا تبديل الخلق الله)) الروم: ٣٠ ، و قال ((ولمن تجد لسنة الله تبديلا)) فاطر: ٤٣ ، من أجل ذلك نسب الله تغير

الخلق إلى الشياطين و أصحابهن من الجن و الأنس قال تعالى ((ولامرنهم فليغرن خلق الله)) النساء : ١٨ ، و بهذا تتفق وحدة النوع البشري بمختلف ألوانه و أشكاله أمة واحدة مخلوقة من نفس واحد و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء ، خاضعين متيقنين بخالقيته وربوبيته يولدون على هذه العقيدة و الفطرة السليمة ، وإذا ماتوا وهم صغار أو معتوهين أو في الفترة التي أنقطع فيها الرسل ، أو لم يسمعوا بأخبار الرسل يموتون على هذا الأيمان و يحكم بالإسلام وان كانوا من أطفال الكفار ، لان الأيمان اصل و الكفر طارئ عليه يحجب صاحبه عن عهده الذي قطعه مع الله تعالى . ولذلك أذا أختفت هذه الفطرة يستشير الفطرة الانسانية السليمة التي بها يدرك المرء إدراكا مباشرا أن له ربا و الهاً قويا عظيما يكلؤه و يرعاه.

فاذا اختفت هذه الفطرة في ساعات الرخاء و اللهو ، فأنها تعود الى الظهور عند الشدة و البأساء و سرعان ما يذوب الطلاء الكاذب ، فتعود الى ربها داعية متضرعة[٤١]((هو الذي يسيركم في البر و البحر حتى أذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة و فرحوا بها جاءتها ريح عاصف،وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)) يونس : ٢٢ .

ويستشهد القران بالتاريخ الانساني على أن الايمان به و برسله كان سفينة النجاة لاصحابه وأن التكذيب به و برسله كان نذير الهلاك و البوار[٤٢] ، قال تعالى في نوح ((فكذبوه فأنجيناه و الذين معهُ في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوما عمين)) الاعراف : ٦٤ . وفي هود يقول ((فأنجيناه و الذين معه برحمة منا و قطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين)) الاعراف : ٧١ .

وبهذا نعلم أن الفطرة بمعنى الخلق لا يمكن لأحد تبديلها أو تغييرها ولكن يمكن التأثير عليها في وجهها الثاني يشبهها الحديث بالبهيمة التي تولد جمعاء ثم تجدع.

هذا في الجانب النقلي أما في الجانب العقلي:-

١. فان القران إذ يقابل الدين بالفطرة على انه عينها أصالة وجوهرا فإنما يقصد إلى تبيين جوهر الفطرة الإنسانية وإنها مفطورة أصلا على الخير المحض إذ الدين خير كله بلا ريب ولا أصل للشرفية فكذلك الفطرة ولو كان التناقص بينهما على ما هو الشان في الخير و الشر لما تأتي التكليف و التنفيذ و الأمتثال الطوعي، إذ لا يثبت الشيء مع ما ينافيه لاستحالة اجتماعهما فضلا عن الامتزاج و الائتلاف، بل لتعذر أمر الدين أو لصار كله إلزاما قائما على الإكراه. وهذا لا يعني أن هناك قهرا فطريا على الدين بمعنى الشريعة أو الملة فالقهر أن يخلقوا على فطرة التوحيد أي إن تبديل الخلق بان يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لا يقدر عليه إلا الله و الله سبحانه لا يقول ((لا تبديل لخلق الله)).

أما بمعنى الشريعة فيقوم على الاختيار الإرادي الطوعي وهو موضع الاختيار فالفطرة مطواعة لما يأتي به الرسل و يدل عليه العقل و تنعقد عليه الإرادة [٤٣] .

٢. أن توجيه المسؤولية على النقائص و كبائر ألاثم يؤكد ما ذهبنا إليه من أن هذه النقائص تشكل عدوانا على الفطرة و لذلك جاءت توجيهات القران الكريم لمعالجة هذه الحال كي لا تنهار المقومات الجوهرية للشخصية الإنسانية ويلتئم الإنسان مع نفسه الفطرية وألا فسيخسر نفسه كما في التعبير القرآني[٤٤] ((ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)) الحشر:١٩.

ولقد فسر الأمام الزمخشري الآيات التي يبدو فيها الأمر على غير ما قلنا في تفسير قوله تعالى ((أن الإنسان خلق هلوعا)) المعارج: ١٩. تفسيرا بصرف كلمة خلق عن معناها الأصلي إلى المعنى المجازي حيث جعل الإمعان في مفارقة ألاثم و العكوف على الأخذ بأسباب

المعاصي في منزلة الأمر المفطور عليه للملازمة وعدم الانفكاك تشبيها. و الدليل النقلي على هذا الصرف و التأويل مقابلة القران الكريم نفسه الدين بالفطرة خيرية ونقاء و خلوها من أسباب الشر و المفسدة وألا لما يكن لهذا المقابلة معنى تصح به ونظير هذا قوله تعالى ((خلق الإنسان من عجل)) الأنبياء: ٣٧. و الله يعلم أن الإنسان لم يخلق منه و لكن لما كان الإنسان عجولا في عامة أمره لا ينفك عن ذلك عد كأنه مخلوق منه على سبيل التجوز لا الحقيقة.

يقول الزمخشري:(إن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع و لتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليها و مطبوع و كان ذلك الشح أو الجزع أمر خلقي و ضروري غير اختياري كقوله تعالى ((خلق الإنسان من عجل)) و الدليل عليه انه حين كان في البطن و المهد لم يكن به هلع، و لأنه ذم و الله لا يذم فعله، و الدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم و حملوها على المكارة و ظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جاز عين ولا ما نعين[٤٥] ((إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون. و الذين في أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم. و الذين يصدقون بيوم الدين. و الذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون. و الذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغي وراء ذلك فأولئك هم العادون. و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون. و الذين هم بشهاداتهم قائمون. و الذين هم على صلاتهم يحافظون. أولئك في جنات مكرمون)) المعارج:٢٢ــ٣٥.

و نستخلص مما تقدم أن هناك ملكات في النفس و قابليات تتأثر بالبيئة و المحيط و لذلك جاء الوحي لضبطها. فالفطرة غريزة داخلية لا بد لها من دليل عملي فجاء الشرع دليلا عمليا يترجمها في واقع الحياة و يكون مظهر تحقيقها و قائد خطاها على حدود معلومة مأمونة الشطط و الانحراف.[٤٦]

المطلب الثاني قابليات الفطرة :-

هناك من الأحوال و الصفات ما يدخل على الإنسان بلا اختيار منه لأنها وجدت في فطرته كالدوافع الغريزية العضوية و النفسية كالحاجة إلى الطعام و اللباس و المأوى و الزواج والأمن و الحب و البغض و الجبن و الشجاع و العجلة و الغضب ... الخ .

وقد ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به ، فلا يصح شرعا التكليف بما لا قدرة للمكلف عليه وأن جاز عقلا .

فإذا ما ورد نص شرعي يؤذن بهذا فذلك يرجع في التحقيق إلى سوابقه أو لواحقه أو قرائنه كقوله تعالى ((ولا تموتن إلا وانتم مسلمون)) آل عمران : ١٠٢ ، فليس المطلوب منه إلا ما يدخل تحت القدرة وهو الإسلام[٤٧] فالتكليف به سابق على الموت و قوله تعالى ((... ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ...)) المائدة : ٣٢ ، أي يتراغبوا في المحامات على حرمتها[٤٨] و التكليف بها من اللواحق .

وكما جاء في حديث أبي طلحة حيث ترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال :(و يشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة[٤٩] بأبي وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك)[٥٠] فطلب أبي طلحة من القرائن .

المبحث الثالث
أقوال العلماء في الفطرة

تناول العلماء الفطرة بجميع جوانبها عقيدة وفقها ، وأشبعوها بحثا ، فقد تحدثوا عمن يموت صغيرا من أطفال المشركين و بينوا أيمانه وظاهر أحواله التابعة لوالديه ، وسنركز البحث حول أقوالهم في هذا الموضوع كالأتي :-

أولا : امتحان الطفل في القبر .

أختلف لعلماء في امتحان الطفل على مذهبين :- أولا : انهم يسألون و به قال الضحاك من التابعين[٥١] و بعض أصحاب الأمام أحمد و أبن فورك المتولي واستدلوا بحديث رواه هناد أبن السري حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال انه كان ليصلي على المنفوس ، وما أن عمل خطيئة قط فيقول اللهم أجره من عذاب القبر[٥٢]، فأن دعاه دليل على وجود ضمة القبر لكل إنسان صغيرا كان أو كبيرا ، ولكن ضمته للمؤمنين و الأطفال و المجنون ضمة المحبين و ضمته للكافر ضمة انتقام و سخط ، واحتجوا أيضا بحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه و سلم صلى على جنازة صبى ، فسمع من دعاء : اللهم قه عذاب القبر[٥٣] وجه الدلالة : إن الصلاة و الدعاء إنما شرع من أجل تخفيف العذاب عنهم و نزول رحمة الله عليهم ، وأن يقيهم عذاب القبر ووحشته ، فان الله يكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلهم و سعادتهم و يلهمون الجواب عما يسألون عنه ، وقال الأولون من السلف : إنما يكون السؤال لمن عقل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيسأل هل أمن بالرسول و أطاعه أم لا وأجابوا عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه بأنه ليس المراد فيه بعذاب القبر عقوبته بل مجرد الألم بالغم و الهم و الحسر و الوحشة التي عم الأطفال و غيرهم،وأن أكثر هل العلم على أن المسئول عنه هم المكلفون المقصود بالحديث (وعافه من فتنة القبر). فأن السؤال لكل ميت كبير أو صغير يسأل إذا غاب الآدميوين سؤاء مات في البحر أو أكله السبع فهو مسئول ألا أن الأنبياء لا يسألون [٥٤].

القول الثاني : أنهم لا سألون ، وبه قال النسفي من الحنفية ، وأبن الصلاح و النووي و أبن الرفعة و السبكى ، و صرح به الزركشي ، و أفتى به الحافظ بن حجر و استدلوا : بأن السؤال أنما يكون للمكلف الذي عقل الرسول و المرسل فيسأل هل أمن بالرسول و أطاعه أم لا ؟ فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ أما الطفل الذي لا يميز له بوجه ما فكيف يقال له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ! ولورد أليه عقله في القبر فأنه لا يسال عما لم يتمكن من معرفته و العلم به ، ولا فائدة في هذا السؤال [٥٥].

أما امتحانهم في الآخرة فان الله تعالى يرسل اليهم رسولا ويأمرهم بطاعة أمره و عقولهم معهم فمن أطاعه منهم نجا ، ومن عصاه أدخله النار فذلك امتحان بأمر يأمرهم به يفعلونه ذلك الوقت لا أنه سؤال عن أمر مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان كسؤال الملكين في القبر[٥٦] . أما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعا ، فأن الله لا يعذب أحدا بلا ذنب عمله ، بل عذاب القبر قديرا به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره و أن لم يكن على عمل عمله ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ((أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه))[٥٧] أي يتألم به ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحي ، ويقول تعالى ((ولا تزرُ وأزرةَ وزرَ أخرى)) الأسراء : ١٥ ، فالعذاب أعم من العقوبة ، و لاريب أن في القبر من الآلام و الهموم و الحسرات ما قد يسرى أثره إلى الطفل فيتألم به فيشرع للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى له أن يقيه ذلك العذاب .

مسألة (أطفال المشركين) في الآخرة :

أختلف الفقهاء في أطفال المشركين أهم في الجنة أم في النار إذا ماتوا في صغيرهم . على ثلاثة مذاهب :-

١) أنهم في الجنة[٥٨] و عليه اكثر المحققين من الفقهاء و الإمام النووي و أختاره البخاري .
٢) أنهم في النار تبعا لآبائهم[٥٩] و نسبه النووي للأكثرين من الفقهاء ، و حكاه أبن حزم عن الازارقة من الخوارج [٦٠]
٣) توقف قسم من الفقهاء و لم يتكلموا ، و أليه ذهب ابن عبد البر و حماد بن زيد و حماد بن سلمة و أبن المبارك و إسحاق أبن راهويه ، و عليه أكثر أصحابه الأمام مالك .

الأدلة و مناقشتها :-

أستدل القائلون بأنهم من أهل الجنة بأدلة كثيرة :

أ- ما رواه مسلم عن حاجب بن الوليد حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدى عن الزهرى أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه كما تنتج لبهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)[٦١] ، ثم يقول أبو هريرة : وأقرأوا أن شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم ك ٣٠ .

ب- احتجوا بحديث سمرة انه عليه سلام رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين[٦٢]، رواه البخاري وجه الدلالة أن أطفال المشركين يدخلون الجنة لانهم لم يبلغوا حتى تصلهم الدعوة و يتوجه إليهم التكليف بل القلم عنهم مرفوع ، بدليل قوله تعالى ((وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا)) الأسراء : ١٥ . وإذا كان العاقل من باب أولى .

ج- استدلوا بما رواه أبو يعلى من حديث أنس مرفوعا ، سالت ربي اللاهين [٦٣]من ذرية البشر إلا يعذبهم فاعطانيهم ، قال الحافظ إسناده حسن [٦٤]: و يؤيد رأيهم ، ما روى عبد الرزاق من طريق أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : سألت خديجة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، عن أولاد المشركين ، فقال (هم مع أبائهم) ثم سألته بعد ذلك فقال (الله أعلم بما كانوا عاملين) ثم سألته بعدما أستحكم الإسلام فنزل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فاطر : ١٨ ، قال (هم على الفطرة) أو قال (هم في الجنة)[٦٥] قال حافظ : وأبو معاذ : هو سليمان بن أرقم ، وهو ضعيف ، ولو صح هذا لكان قاطعا للنزاع ورافعا لكثير من الأشكال .

ثانيا : أدلة القائلين بأنهم في النار :-

١. استدلوا بقوله تعالى ((رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)) نوح : ٢٤ . و تعقبه بان المراد قوم نوح خاصة ، وأنما دعا بذلك لما أوحى الله أليه ((انه لن يؤمن من قومك ألا من قد آمن)) هود : ٣٦ . و كذلك أطفال المشرك الحربي تبع لهم في أحكام الدنيا.

٢. روى أحمد بسنده عن عائشة (سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ولدان المسلمين ، قال : في الجنة ، وعن أولاد المشركين : قال : في النار ، فقلت يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ، قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين ، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار)[٦٦] ألا أن هذا الحديث ضعيف : لان في إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك[٦٧] وهناك أحاديث أخر متعارضة في هذا الباب . وكذلك يرد حجتهم بان الشرع قد جعل البالغ الجاهل بالله ممن لم تبلعه الدعوة معذورا بقوله تعالى ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) الأسراء:١٥ فأن كان الذي لم تبلغه الدعوة غير مكلف ، إذا لم يصف أيمانا ولا كفرا ولم يعتقد على شئ مما يكون منافيا للأيمان ولا موافقا للعصيان معذورا ، وأذا وصف الكفر وعقده أو عقده ولم يصفه لم يكن معذورا وكان من أهل النار[٦٨] فالطفل من باب أولى يعذر لانه لم يعقل الكفر ولا الأيمان.

ثالثا : استدل القائلون بالتوقف :-

بحديث روى البخاري بسنده عن أبن عباس رضى الله عنه قال : سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أولاد المشركين فقال ((الله إذا خلقهم أعلم بما كانوا عاملين))[٦٩] ، وروى عن طريق أبي هريرة قول : سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذراري المشركين فقال((الله أعلم مما كانوا عاملين))[٧٠] قوله (بما كانوا عاملين) أي لوا بقاهم ، فلا تحكم عليهم بشيء . أي علم أنهم ((يعملون شيئا ولايرجعون فيعملون .

الراجح من هذه المذاهب القائل بأنهم من أهل الجنة و يؤيد مذهبهم قوة حجتهم والأحاديث الأخرى الكثيرة نذكر منها قول النبي (صلى الله عليه وسلم) المروى عن طريق إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضى الله عنها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم ، و عن المعتوه حتى يفيق ، و عن النائم حتى يستيقظ) ، وانه تعالى لا يعذب أحدا من غير ذنب اقترفوها ، وحكمهم إلى الله فهو يجازي عباده و يعاقب منكريه .

وقد سئل ابن تيمية عن قوله (صلى الله عليه وسلم) ((كل مولود يولد على الفطرة)) ما معناه ؟ أراد فطرة الخلق أم فطرة الإسلام ؟ وفي قوله ((الشقي من شقي في بطن أمه))[٧١] الحديث . هل ذلك خاص أو عام . و في البهائم و الوحوش هل يحييها الله يوم القيامة أم لا ؟ فأجاب :

الحمد لله ، أما قوله (صلى الله عليه وسلم) ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[٧٢] : فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي فطرة الإسلام ، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال ((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا)) الأعراف : ١٧٢ . وهي سلامة من الاعتقادات الباطلة ، و القبول للعقائد الصحيحة .

فان حقيقة الإسلام أن يستسلم لله ، لا لغيره ، وهو معنى لا اله إلا الله ، وقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثل ذلك فقال : (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟)[٧٣] : بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن ، وأن العيب حادث طارئ.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يروي عن الله (أنى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين و حرمت / عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزله به سلطانا)[٧٤] ، ولهذا ذهب الإمام أحمد (رضى الله عنه) في المشهور عنه : إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه ، لزوال الموجب للتغير عن أصل الفطرة ، وقد روى عنه ، وعن ابن المبارك ، و عنهما : أنهم قالوا : يولد سليما ، وقد علم الله أنه سيكفر ، فلا أن يصير إلى ما سبق له في الكتاب ، كما تولد البهيمة جمعاء ، وقد علم الله أنها ستجدع.

وهذا المعنى ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الغلام الذي قتله الخضر : (طبع يوم طبع كافرا ، ولو ترك لأرهق أبويه طغيانا و كفرا)[٧٥] يعني:طبعه الله في أم الكتاب ، أي : كتبه وأثبته كافرا ، أي أنه إن عاش كفر بالفعل .

ولهذا لما سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال (الله أعلم بما كانوا عاملين)[٧٦] أي : الله يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا ، ثم انه قد جاء في حديث إسناده مقارب عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (إذا كان يوم القيامة فان الله يمتحنهم و يبعث الهم رسولا في عَرْصَة[٧٧] القيامة . فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار)[٧٨] فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه ، و يجزيهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم و كفرهم ، لا على مجرد العلم .

الخاتمــة

بعد تتبع مفردات البحث في المصادرة توصلت إلى النتائج الآتية :-

١. الإنسان مخلوق الله تعالى من التراب بعيدا عن التطور و الانتخاب الطبيعي ، و طبع في قلبه الأيمان و زينه وأرشدهم إلى هذا الإيمان عن طريق الأنبياء ليذكرهم بالعهد الذي قطعوه مع الله تعالى ، قال تعالى ((وإذ أخذ ربك من بني أدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى)) الأعراف : ١٧٢ . فالخلق و الدين لله ، ((ألا له الخلق و الأمر)) الأعراف : ٥٤ .
٢. لا يجري قلم الحساب على الإنسان قبل البلوغ و إذا ماتوا قبل ذلك ماتوا على الإسلام يدخلون الجنة وأن خلقوا من ماء الكافر .
٣. سلامة الفطرة تعني سلامة الخلق و الأيمان بمعنى أن الإنسان يولد على شاكلة و الديه غير كافر ولا جاحد كل حسب اختصاصه يحاول مزاولة مهنته من غير تكلف أو عناء ، فالرجل يسعى إلى اختصاصه في العمل منذ الصغر و كذلك المرأة فلا تختلط اختصاص أحدهما بالأخر ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)) الروم : ٣٠ .
٤. الحساب يوم القيامة على كسب العبد و عمله ، و القلم مرفوع عمن لا كسب له ((رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ و عن المجنون حتى يفيق ، و عن الصبي حتى يحتلم)) .
٥. إذا ترك الإنسان يبقى على الفطرة ولا يختار له ديناً أخر ما لم يرسم له .

الهوامش

١. لسان العرب – ٥ / ٥٦.
٢. لسان العرب - ٥ / ٥٦
٣. ينظر الصحاح للجوهري : ٧٨١/٢ ، و مفردات الراغب الاصفها في : ٦٤
٤. تفسير الطبري : ٢١ / ٤٠ – ٤١
٥. تفسير القرطبي ١٤ / ٢٥
٦. دارون و نظرية التطور :ص ١٠٤ .
٧. المصدر نفسه
٨. دارون و نظرية التطور.
٩. دارون و نظرية التطور : ١٦ .
١٠. صونار: تعبير مختصر في الإنكليزية ، وهي الآلة التي تكتشف وجود الأجسام في البحار باستعمال الإصدارة الصوتية.
١١. دارون و نظرية التطور : ٨٦ .
١٢. صحيح البخاري : ٦٥١/٨ رقم الحديث ٤٧٧٥.
١٣. ينظر تفسير التحرير صونار: تعبير مختصر في الإنكليزية ، وهي الآلة التي تكتشف وجود الأجسام في البحار باستعمال الإصدارة الصوتية.
١٤. دارون و نظرية التطور : ٨٦ .
١٥. صحيح البخاري : ٦٥١/٨ رقم الحديث ٤٧٧٥.
١٦. ينظر تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور : ٧ / ٣٢٤ .
١٧. ينظر معاني القران و إعرابه للزجاج : ٢ / ٣١١ .

١٨. ينظر معاني القران للفراء : ١ / ٣٦٧ .
١٩. يتظر الصحاح الجوهري: ٥/ ١٨٢١/٥ ، المفردات اللاصفهاني : ٤٧١- ٤٧٢.
٢٠. تفسير البحر المحيط لابن حيان: ٤٠٦/١، تفسير الالوسي: ٤/٤ء ١١/ ١٩٨
٢١. ينظر النكت والعيون تفسير الماوردي: ٤١٦/٢.
٢٢. ينظر معاني القرآن وأعرابه للزجاج: ٤١٦/١
٢٣. ينظر تفسير البيضاوي: ٢٢٠/٢، تفسير الشوكاني: ٤: ٢٢٤.
٢٤. ينظر معاني قرآن الكريم وأعرابه للزجاج: ٥/ ٣٥٠.
٢٥. يتظر التبيان في اعراب القرآن ٢/ ٢٩٧ وتفسير الشوكاني: ٥/ ٤٧٦، اعراب القرآن للنحاس: ٥/ ٢٧٣.
٢٦. يتظر معاني القرآن واعرابه للزجاج: ١٨٥/٤ ، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ٩٥/٢١.
٢٧. ينظر الصحاح للجوهري: ١٢٣٦/٣، المفردات للراغب الاصفهاني: ٢٥٨، تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور: ٢٢٣/٦.
٢٨. ينظر الصحاح للجوهري: ٣٤٦/١.
٢٩. ينظر تفسير الكشاف للزمخشري: ٢١٥/٤، تفسير الشوكاني: ٥٣٠/٤، تفسير الآلوسي: ٢٠/٢٥-٢١.
٣٠. ينظر تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور: ٢٢٢/٦-٢٢٣.
٣١. ينظر أيات الامن في القران الكريم : ٨٨ .
٣٢. ينظر تفسير في ظلال القران لسيد قطب : ٥ / ٢٧٦٧
٣٣. ينظر تفسير الشوكاني : ٤ / ٢٢٤ .
٣٤. ينظر تفسير في ظلال القران قطب : ٥ / ٢٧٦٧ .
٣٥. صحيح البخاري : ٨ / ٦٥١ – رقم الحديث ٤٧٧٥ .
٣٦. صحيح البخاري: ١١٨/٢، ١٥٣/٨ ، واللفظ له، صحيح مسلم: ٢٠٤٧/٤ رقم الحديث (٢٦٥٨).
٣٧. صحيح مسلم: ٢٠٤٨/٤.
٣٨. ينظر عمدة القاريء شرح صحيح البخاري للعيني: ١٧٧/٨.
٣٩. ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور: ٦٠/٢١.
٤٠. ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ١٩٧/٣.
٤١. ينظر عمدة القاريء شرح صحيح البخاري للعيني: ١٧٧/٨.
٤٢. ينظر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي : ٢٠٩/١٦ ، عمدة القارىء بشرح صحيح البخاري للعيني : ١٧٧/٨- ١٧٨ ، ٢١٤ و ٢٣ / ١٤٩ .
٤٣. مجموعة الفتاوى أبن تيمية ج ٤ / ١٥٥ .
٤٤. المصدر نفسه ج ٤ / ١٥٦ .
٤٥. الايمان و الحياة : ص ٢٧ .
٤٦. المصدر نفسه .
٤٧. أيات الا من في القران الكريم : ٩ .
٤٨. المصدر نفسه.
٤٩. تفسير الكشاف: ٤ / ٦١٢ .
٥٠. ينظر الدين ضرورة للحضارات د. عبدالستار فتح الله سعيد مجلة الأمّة القطرية: ٤ / ٤٤ / ٩.
٥١. ينظر الموافقات للشاطبي : ٢ / ١٠٧ – ١٠٨ .
٥٢. تفسير الكشاف للزمخشري : ١ / ٦٢٧ ، و ينظر الموافقات للشاطبي : ١ / ٢٢٨ .

٥٣. أبو طلحة : أسمه زيد بن سهل الأنصاري وهو زوج والدة أنس (رضي الله عنهما) وأنس حمل هذا الحديث عنه . ينظر عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني : ٧ / ١٥١ .
٥٤. صحيح البخاري : ٥ /١٢٥ .
٥٥. الحادي للفتاوى : ١٦٦ .
٥٦. الروح : أبن القيم : ١٢٢
٥٧. الموطأ : الأمام مالك : كتاب الجنازة .
٥٨. الحاوي للفتاوى : ج٢ / ١٦٧ .
٥٩. ينظر الروح لابن القيم : ١٢٣ .
٦٠. المصدر نفسه
٦١. رواه البخاري في صحيحه رقم الحديث ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، وطرفاه في رقم ١٢٩٠ ، ١٢٩٤ . صحيح البخاري : ٢٣٩ ، باب يعذب الميت ببكاء أهله عليه .
٦٢. الفتاوى الحديثه : أبن حجر الهيتمي ص ٨٠.
٦٣. المصدر نفسه ، و ينظر القتاوى الرملي : ص ٣٧٦ .
٦٤. ينظر فتح الباري ج ٣ / ٣١٢ .
٦٥. صحيح المسلم بشرح النوي كتاب القدر باب كل كولود يولد على الفطرة و صحيح البخاري ، كتاب الجنائز باب أذا أسلم الصبي رقم الحديث ١٣٥٨ ٦٥٩٩ باب في القدر .
٦٦. ينظر تحفة الاحوذي ج ٦ / ٣٤٥ .
٦٧. اللاهين : الأطفال .
٦٨. ينظر تحفة الاحوذي ج ٦ / ٣٤٥ ، و فتح الباري ٣ / ٩٠ .
٦٩. المصدر نفسه .
٧٠. فتح الباري : ج ٣ / ٣١٢ .
٧١. المصر نفسه .
٧٢. ينظر الفقه الأكبر : ص ٤٥ .
٧٣. البخاري : كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين رقم الحديث ١٣٨٣ و طرفه من ٦٥٩٧
٧٤. المصدر نفسه رقم الحديث : ١٣٨٤ وطرفاه في ٦٥٩٨ . (٦٦٠٠)
٧٥. أخرجه مسلم (٢٦٤٥) عن أبن مسعود رضي الله عنه موقوفا عليه ، وتمامه ((و السعيد من و عظ بغيره))
٧٦. صحيح مسلم .
٧٧. صحيح : وقد تقدم تخريجه .
٧٨. صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .
٧٩. صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦١) وأبو داود (٤٧٠٥ ، ٤٧٠٦) و الترمذي (٣١٦١) .
٨٠. صحيح :أخرجه البخاري (٦٥٩٧) و مسلم (٢٦٦٠) وأبو داود (٤٧١١) و النسائي (٤ / ٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .
٨١. العرصة : ساحة الدار . (المعجم الوسيط) ((٥٩٣)) .
٨٢. أخرج أبو يعلى في (مسنده) (٤٢٢٤) عن أنس رضي الله عنه مرفوعا : ((يؤتي بأربعة يوم القيامة بالمولد و بالمعتوه و يمن مات في الفترة و الشيخ الفني ، و كلهم يتكلم بحجه ، فيقول الرب تبارك و تعالى لعنق من النار : أبرز . فيقول لهم : أنى كنت أبعث الى عبادي رسلا من أنفسهم ، واني رسول نفسي اليكم ، ادخلوا هذه . فيقول من كتب عليه الشقاء : يارب أين ندخلها و منها كنا نفر ؟ قال : و من كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها سرعا :

قال : فيقول تبارك و تعالى : أنتم لرسلي أشد تكذيبا و معصية ، فيدخل هؤلاء الجنة و هؤلاء النار)) (صححه الالباني في (الصحيحة) ((٢٤٦٨)) .

المصادر

١. أصول الفكر السياسي في القران المكي : عبدالقادر حامد التجاني ، الطبعة الأولى ، دار البشر عمان – الأردن ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ .
٢. الايمان و الحياة : يوسف القرضاوي : الطبعة الثالثة مؤسسة الهالة بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .
٣. تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي : الإمام الحافظ أبي العلا محمد عبدالرحمن أبن عبدالرحيم المباركفوري المتوفي سنة ١٣٥٣ هـ - أعتنى بها على محمد معوض ، الطبعة الاولى دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٤. تفسير بحر المحيط : (أبو حيان أثير الدين أبى عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي (ت : ٧٤٥ هـ) مطابع النصر الحديثة ، الرياض .
٥. تفسير البيضاوي : القاضي ناصر الدين أبى سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م) .
٦. تفسير التحرير التنوير : الشيخ محمد طاهر أبن عاشور (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) دار التونسية ، ١٩٨٤ م .
٧. تفسير الشوكاني : (فتح القدير الجامع بين فتي الرواية و الدراية من علم التفسير) ، محمد بن على الشوكاني دار الفكر .
٨. تفسير الطبري (جامع البيان من التفسير القران) : ابى جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ م) الطبعة الأولى دار المعرفة ، بيروت لبنان ١٩٨٠ م .
٩. تفسير القرطبي : الجامع لاحكام القران ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، تحقيق عبدالرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
١٠. تفسير الكشاف:أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الشيرازي (٤٦٧–٥٣٨هـ) دار المعرفة بيروت – لبنان . بدون سنة الطبع .
١١. داروين و نظرية التطور . شمس الدين أق بلوت ، ترجمة : اورخان محمد علي ، الطبعة الاولى مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
١٢. الروح / أبن القيم : دار التربية للطباعة و النشر و التوزيع .
١٣. السنن الكبرى البيهقي : ابوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق محمد عبدالقادر عطا . دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
١٤. الصحاح / اسماعيل الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أحمد عبدالغفور ، مطابع دار الكتب العربي مصر .
١٥. صحيح البخاري : الأمام أبى عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغير البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ظبط النص محمود محمد محمود حسن نصار ، الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢١ هـ - ١٩٩٩ م .
١٦. صحيح المسلم بشرح النووي : الامام محي الدين ابى زكريا يحيى بن شرف النووي – دار احياء التراث العربي دار المعرفة بيروت – لبنان ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١٧. المناهج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أعداد مجموعة اسائذة مختصين ، باشراف علي عبدالحميد ابو الخير دار الخير ، لطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
١٨. الفتاوي الحديثية : الامام أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي الطبعة الحجرية .
١٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاوي (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ) دار السلام – الرياض دار الفيحاء – دمشق .
٢٠. الفقه الاكبر : الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، شرحه الامام ملا علي القاري الحنفي (ت ١٠٠١هـ) . دار الكتب العربية الكبرى مصطفى البابي الحلبي و اخويه بكري و عيسى .
٢١. في ظلال القران سيد قطب بن أبراهيم (ت ١٩٦٧ م) الطبعة الحادية عشر دار الشرف بيروت – لبنان . (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .
٢٢. لسان العرب : أبن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ) مكتب تحقيق التراث دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٢٣. مجموعة فتاوى ابن تيمية : جمع عبدالرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي . المكتب التعليم السعودي – المغرب .
٢٤. مفردات الفاظ القران الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم دمشق الطبعة الاولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
٢٥. معاني القران و أعرابه:الزجاج– ابو أسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) تحقيق عبد الجليل عبده الشلبي الطبعة الاولى ، عالم الكتب بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .
٢٦. الموافقات في اصول الاحكام : الشاطبي . أبو أسحق ابراهيم موسى اللخمي الشاطبي ، دار الفكر ١٣٤١ هـ .
٢٧. الموطأ : الامام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) ، صححه و علق عليه محمد فؤاد عبدالباقي دار احياء الكتب العربية . بدون سنة الطبع .
٢٨. النكت و العيون : ابو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠ هـ) تحقيق خضر محمد خضر ، الطبعة الاولى ، مطابع المقهوى الكويت . (١٤٠ هـ-١٩٨٢م).
٢٩. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، وأعداد مجموعة أسائذة مختصين ، بأشراف علي عبدالحميد أبو الخير دار الخير ، الطبعة الخامسة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

أطروحة دكتوراه آيات ألامن في القران الكريم . عبدالسلام داود سويدان الكبيسي ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

Dr. Ismail Mohammed Qarani
Salahaddin University – College of Al-Sharee'a and Islamic Studies

Abstract

Instinct (Al fitrah) is one of the joy full and important subjects in Muslim life: Which forms a strong relation between human and his lord.

Therefore, I chose it as a title of my research.

This research contains three chapters.

In chapter one I mentioned definition and meanings of instinct in addition to some Qur'anic verses related to the subject. My aim was to let reader knows closely information's regarding the subject. I said instinct is conduct and religion safety from imperfection, which fixed by Allah in His servants hearts. So believer by instinct does not need his parents' advices, if they let him choose his way. While parents advise their children to convert to other religions.

In chapter tow, I talked about instinct verses and its reflections and discussed ideas of who say: Life is a result of self-generation and natural selection.

I clarified that instinct is created by innovator and glorious creator, as it mention in Qur'an which says: unification of Allah is born by instinct with human being and Allah created humankind on it and there is change of Allah creature. Rum: 30.

In chapter three I mentioned Ideas of scholars about children introgation in doomsday and their situation and they will be in paradise with pious people, so they will not be asked on their deeds in this life, because they are not demanded to do religious duties in their life.

Allah says: we would not panish ay body just after we sent prophets to notify them to fulfill My orders and they disobeyed.
Surely, Allah does not opress anyone without sins.